لماذا نحب الرسول الجزء الأول

الكاتب: محمد المنجد

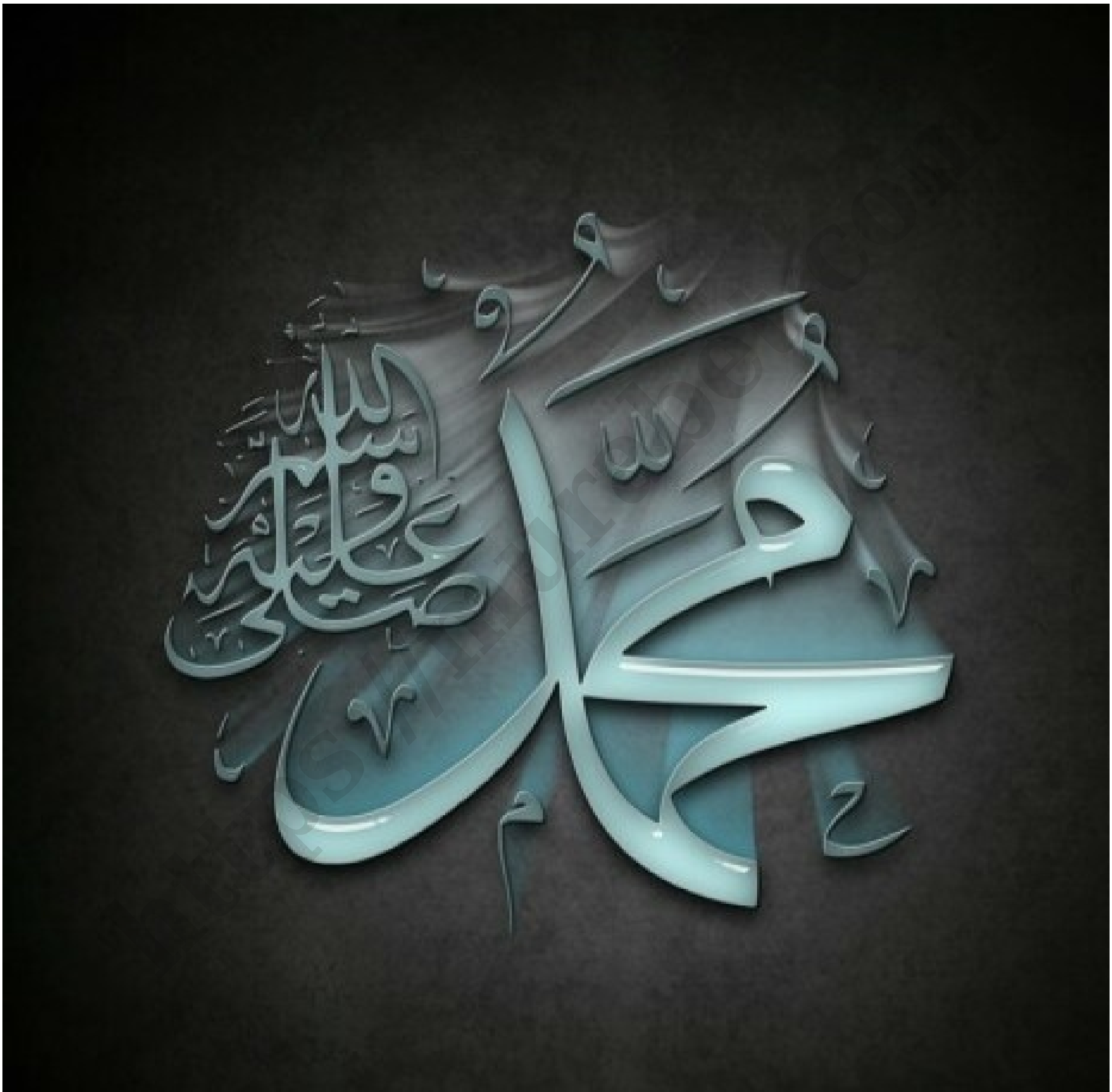

تمام محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، أرسله الله عز وجل بالهدى ودين الحق، فأقام به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ففتح الله تعالى به قلوبًا غلفا، وأعينًا عميا، وآذانًا صما، فصلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين.

أيها الإخوة! حديثنا في هذه الليلة عن موضوع عظيم من موضوعات العقيدة والإيمان، التي ينبغي أن يهتز له شعور كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر؛ لأن الكلام في أساسيات العقيدة من المواضيع الهامة جدًا بالنسبة للإنسان المسلم؛ لأنها تبين الطريق، وترسم الأهداف، وتحيط المسلم علمًا بأشياء هامة يحتاج إليها لكي يصحح العقيدة والعمل، وفي هذا الموضوع الذي سنتكلم عنه الليلة: كيف نحب النبي صلى الله عليه وسلم؟

محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم: الطريق إليها، معناها، وأهميتها، واجباتها، ومستلزماتها، وما ينبغي أن يكون موقف المسلم تجاه نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم.

هذا الموضوع -أيها الإخوة- على درجة عظيمة من الحساسية، لما وقع الناس فيه من أهل الإسلام أهل القبلة، بين الإفراط والتفريط، هذا الموضوع ينبغي أن يفتح كل مسلم قلبه وسمعه لتفاصيله، ويتذكر حتى ولو لم يتعلم شيئًا جديدًا، ويستعيد إلى نفسه وقلبه ذكريات هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ويتذكر حقوق رسول الله وواجباته.

https://murabet.com

أيها الإخوة! لقد قرن الله تعالى بين محبته ومحبة رسوله في آيات وأحاديث، والملاحظ أن محبة رسول الله لم تفرد بذكر في القرآن إلا وقد قرنت بمحبة الله تعالى، ومن أعظم الآيات التي نبدأ بها الكلام عن هذا الموضوع، قول الله تعالى في سورة التوبة: قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ [التوبة:24] نداء خطير إلى جميع المسلمين بوجوب تقديم محبة الله ورسوله على هذه الأشياء جميعًا، تقديم محبة الله ومحبة الرسول على محبة الأب والابن والزوجة، وعلى محبة الأهل جميعًا، وعلى محبة التجارة، والأموال، والمساكن، يجب أن تقدم محبة الله ورسوله على هذه الأشياء جميعها؛ لأنه -أيها الإخوة- لا تستقيم حياة المسلم ولا يستقيم دينه ولا تستقيم عبادته، إلا بهذا التقديم المتضمن كمال الحب والخضوع لأوامر الله ورسوله.

ولذلك وضع الشرع معيارًا يعرف فيه المسلم كيف يتذوق حلاوة الإيمان، هذا المعيار وهذا المدار الذي تدور عليه حلاوة الإيمان والإحساس بها، هو محبة الله ورسوله، ولذلك يقول أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) رواه البخاري. وهذا تأكيد لما جاء في الآية.

ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أركان العقيدة الأساسية، ويقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: إن حلاوة الإيمان لا توجد إلا بتكميل هذه المحبة بثلاثة أمور، حتى يجد المسلم حلاوة الإيمان، فإيمان بعض المسلمين بارد، ولذلك لا يستشعرون له طعمًا ولا مذاقًا، ولا يحسون به وجودًا مطلقا، وذلك لأنهم فقدوا حلاوة هذا الإيمان وطلاوته، يقول رحمه الله: تكميل هذه المحبة أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ليس المقصود أصل الحب فقط، ليس المقصود فقط أن نحب، لا، وإنما موافقة ما يحبه المحبوب، وكره ما يكرهه المحبوب؛ لأن بعض المسلمين يحبون الله

ورسوله، لكن لا يحبون الله ورسوله أكثر من باقي الأشياء، فعندهم أصل المحبة، لكنها محبة ناقصة غير كاملة، ولذلك تحدث المعاصي والآثام والانحرافات عن شرع الله تعالى.
أولًا: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وثانيًا: تفريع هذه المحبة وهو: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله؛ لأن محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب، إذا كنت تحب إنسانًا فلابد أن تحب من يحبه هذا الإنسان، إذا كنت صادقًا في محبته، فإذا كنت تحب الله ورسوله، فلابد أن تحب ما يحبه الله ورسوله، وهذا من تفريع المحبة، والثالث: دفع ضد هذه المحبة، وهي: أن يكره المسلم ضد الإيمان، وهو الكفر كما يكره أن يقذف في النار.

محبة الرسول صلى الله عليه وسلم محبة قلبية

كذلك -أيها الإخوة- فإن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم محبة قلبية، ليس كما قال بعض أهل الكلام والفلسفة: هو تقديم ما يقتضي العقل السليم رجحانه، فإن هذه المحبة محبة عقلية باردة، المحبة الصحيحة أن يشترك القلب في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، محبة فيها ميل القلب الفعلي، محبة يشتعل معها الوجدان والفؤاد اشتعالًا وتحرقًا واشتياقًا لرسول الله عليه الصلاة والسلام، فهي إذًا: ميلٌ قلبي حقيقي، وليس المراد تقديم ما يقتضيه العقل السليم كما فسره بعض من وافق قواعد الجهمية.
وكذلك قال القرطبي رحمه الله: كل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم إيمانًا صحيحًا، لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة، غير أن الناس متفاوتون، فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى، كان مستغرقًا في الشهوات، محجوبًا في الغفلات في أكثر الأوقات، هؤلاء الناس يتفاوتون، ليس كل الناس يحبون الرسول صلى الله عليه وسلم على مرتبة واحدة، ومحبته صلى الله عليه وسلم كما ذكره الحافظ رحمه الله في الفتح على قسمين: فرض، وندب، فالفرض هو: المحبة التي تبعث على امتثال أوامره صلى الله عليه وسلم والانتهاء عن المعاصي التي انتهى عنها،

https://mimabet.com

والندب: أن يواظب المسلم على النوافل، ويجتنب الوقوع في الشبهات، بعض الناس قد يفعل الواجبات وينتهي عن المحرمات، هل هذا هو الكمال؟ لا. هناك مراتب أعلى منها: أن يحافظ أيضًا على النوافل والمستحبات، وأن يبتعد عن الشبهات، والمتصف بذلك عمومًا نادر.

نماذج من محبة الصحابة للرسول

ولذلك -أيها الإخوة- كان لمحبته صلى الله عليه وسلم أهمية عظيمة جدًا، تستطيع يا أخي المسلم أن تتلمس هذه الأهمية في هذا الحديث الصحيح المخرج في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه: (أن رجلًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: متى الساعة يا رسول الله!) -أعطني خبر، ما هو الموعد التي تقوم عنده الساعة- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم -بأسلوب المعلم المدقق في تعليمه، الذي يريد لفت نظر المتعلم عن غير المهم إلى الأهم، فأجابه عن سؤاله بسؤال مقابل، أراد منه لفت نظره إلي المهم في الموضوع، ليس هذا مهمًا بالنسبة للمسلم أن يعرف موعد قيام الساعة بالضبط، لو كان مهمًا لأخبر به عز وجل- (فقال عليه الصلاة السلام لهذا الرجل: ما أعددت لها؟) -الرجل يقول: متى الساعة يا رسول الله؟ ماذا أجاب عليه السلام؟ -(ما أعددت لها؟) -سؤال مقابل- (قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة) -أي: يا رسول الله! أنا أؤدي الواجبات، نعم، أصلي الصلاة الواجبة، والصيام الواجب، والزكاة الواجبة أُؤديها، لكن ليس عندي نوافل كثيرة، ليس عندي صلاة كثيرة نافلة، وقيام ليل كثير، وصدقة نافلة كثيرة، ولا صيام تطوع كثير- (ولكني أحب الله ورسوله) -وهذا الصحابي لا يكذب على رسوله عليه الصلاة والسلام إنه يخبر بالحقيقة- يقول: (ولكني أحب الله ورسوله، قال: فأنت مع من أحببت. قال أنس: ففرحنا يومئذ فرحًا شديدًا)؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (أنت مع من أحببت). قال شراح الحديث: في هذا الحديث إيماء إلى أن دعوى المحبة مع مجرد الطاعة الواجبة كافية في دخول الإنسان الجنة، وأما دعوى المحبة مع

https://murabet.com

ارتكاب المعصية فمذمومة، فهذا الصحابي ما قال: يا رسول الله! أنا أعصي الله ورسوله وعندي معاصٍ كثيرة، وأنا أحب الله -مع ذلك- ورسوله، لا، ما قال الرسول: أنت مع من أحببت، وإنما قال له: أنت مع من أحببت، لما أخبره الرجل بأنه يطيع الطاعة الواجبة يؤديها، وعنده نوافل لكن ليست كثيرة، لكن قلب هذا الرجل ممتلئ بمحبة الله ورسوله، عند ذلك قال له عليه الصلاة والسلام: (أنت مع من أحببت).

وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده، والناس أجمعين) حديث صحيح. لا يكتمل إيمان أحدكم حتى أكون أحب إليه، أي: أشد حبًا من حب هذا الرجل لولده ووالده والناس أجمعين.

قال عمر بن الخطاب: (يا رسول الله! لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي) -قال: بصراحة يا رسول الله أنا أحبك أكثر من أي شيء إلا من نفسي، أنا أحب نفسي أكثر منك- (فقال صلى الله عليه وسلم: لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك -لا يكتمل إيمانك يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك- فقال له عمر: فإنك الآن أحب إليّ من نفسي، فقال: الآن يا عمر) حديث صحيح.

عمر بن الخطاب في حقيقة الأمر يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من نفسه، لو أن عمر والرسول صلى الله عليه وسلم كانا في موقف، بحيث أنه لابد أن يقتل أحدهما لينجو الآخر، فالظن بعمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سيقدم نفسه فداءً له عليه الصلاة والسلام، وهذا ما كان يحصل منه في المعارك، لكن عمر كان في تلك اللحظة غافلًا عن هذه المسألة وغير منتبه، أو كان يجهل هذه المسألة، فلما علمه الرسول صلى الله عليه وسلم الصواب، بادر فورًا إلى الإذعان وإلى تقرير الحقيقة التي رسخت في نفسه، أو أنه قد ذهب عنه ذهوله عن هذه الحقيقة فأظهرها، فقال: أنت يا رسول الله أحب إلي من نفسي.

قال ابن حجر رحمه الله معلقًا على هذا الحديث: وفيه فضيلة التفكر؛ لأن الإنسان قد يكون في حقيقة الأمر يحب الله ورسوله أكثر من أي شيء، لكن

في الواقع الذي يمارس فيه الأشياء قد يكون يحب أشياء أكثر من الله ورسوله، فعندما يفكر هذا الرجل هل أنا أحب الله ورسوله أكثر أم الوظيفة أم الزوجة أم الولد؟
حينما يفكر يصل إلى نتيجة، هذا يدل على أهمية التفكر في هذه القضايا، عندما يواجه الإنسان المسلم أمرًا يحبه جدًا، فليسأل نفسه هذا السؤال: هل أنا أحب الله ورسوله أكثر أم أحب هذه القضية؟ هذا التفكير يقوده للإيمان بهذه المسألة.

محبة الرسول مشروطة بالاتباع

وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم -أيها الإخوة- نحن نحبه حبًا جمًا لأشياء كثيرة: فالرسول عليه الصلاة والسلام بالمؤمنين رءوف رحيم، جاءنا رسول من أنفسنا -منا نحن البشر- عزيز عليه ما هو شديد علينا، الرسول صلى الله عليه وسلم ظل يناقش ربه في قضية الصلوات وتخفيض الصلوات مرات كثيرة، حتى هبطت الصلاة من خمسين إلى خمس، لماذا؟ لحبه صلى الله عليه وسلم لأمته، لا يريد أن يحرجهم: عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ [التوبة:128]، وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ [الأنبياء:107] هذا الرسول صلى الله عليه وسلم ما ترك أمرًا إلا علمنا إياه، لحبه لنا يعلمنا الخير ويحذرنا من الشر، لذلك كانت محبته واجبة، ونابعة من القلب صلى الله عليه وسلم.
قال ابن القيم رحمه الله: فلما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة. كل واحد يقول: أنا أحب الرسول صلى الله عليه وسلم، هات الدليل على صدق ما تدعي من المحبة، ما هو الدليل؟ يقول ابن القيم رحمه الله: فجاءت هذه الآية قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ [آل عمران:31] قل: إن كنتم تحبون الله فعلًا فاتبعوني، الرسول صلى الله عليه وسلم يخاطب الناس (فاتبعوني) اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم يحببكم الله.

https://murabet.com

إذًا ما هو الدليل أيها الإخوة؟ ما هي البينة التي تقدم شاهد عدل على محبة الإنسان لله ورسوله؟ إنها الاتباع، اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرًا وباطنًا: فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ولذلك كان من أحب شيئًا آثره على نفسه، وآثر موافقة المحبوب على شهوات وتطلعات ورغبات النفس، وإلا لو لم تحصل هذه الحالة لم يكن صادقًا في حبه، لذلك يقول ابن القيم في النونية:

أتحب أعداء الحبيب وتدعي حبًا له ما ذاك في إمكان

إن الرسول صلى الله عليه وسلم عادى الشيطان وأهل الشر والبدعة والفساد، والفواحش بجميع أنواعها، ثم أنت أيها المسلم الذي تدعي محبة الرسول صلى الله عليه وسلم تقدم وتصادق وتواد من حاد رسول الله وعاداه، وتدعي حبًا له ما ذاك في إمكانِ، مستحيل أن يحصل.

المصدر:

سلسلة محاضرات بعنوان لماذا، الحلقة الأولى: لماذا نحب الرسول، للشيخ محمد المنجد.

الكلمات المفتاحية:

#محبة-الرسول

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعنى بالضرورة تزكية الكاتب أو تبنى جميع أفكاره.

https://murabet.com